ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (5674) السنة الحادية والعشرون - الاثنين (20) أيار 2024

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

الشرطة وأحداث سجني بغداد والكوت

مقدمة لرحلة الاتكليزي فريزر للعراق سنة 1834

جعفر الخياط

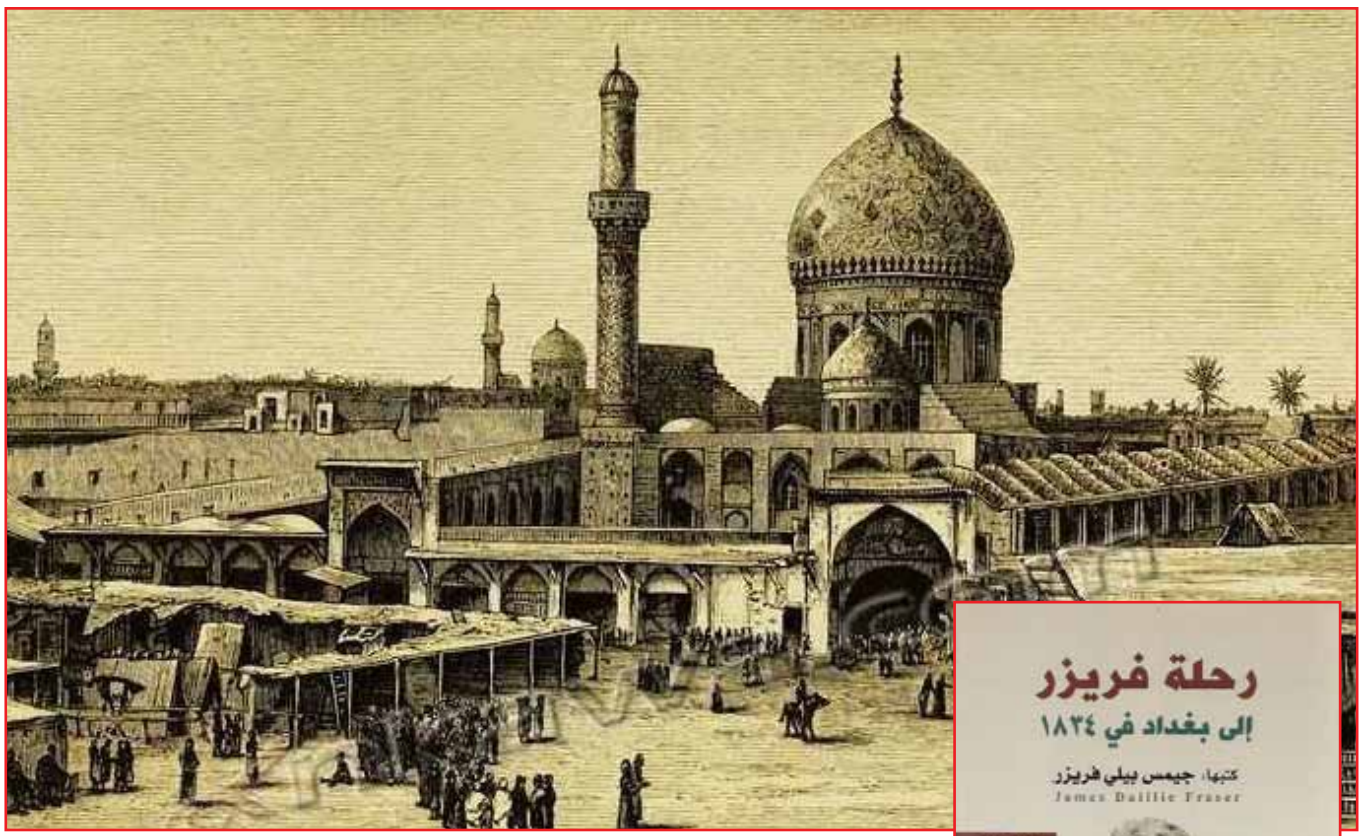

((و لم يهتم بالبلاد الواقعة في القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط سوى حكومات أوربة الجنوبية البحرية، لأن هذه البلاد كانت مصدرا مباشرا أو طريقا لمصادر الحرير و التوابل و الأبازير التي كانوا يحصلون عليها بمبادلة البضائع من سورية و مصر. و من جراء هذه الحاجات كانت السفرات البحرية لدياز و دوغاما قد عجلت الاهتمام بالبلاد الهندية و ما جاورها. فمخرت أساطيل البرتغال عباب البحار الهندية قبل انتهاء القرن الخامس عشر، و شيدت في الخليج العربي قلعة هرمز العظيمة في (٩١٣ ه) ١٥٩٧ م. و كان تجار البندقية و جنوة يسلكون باستمرار الطريق البري الذي هو بمقام جسر أرضي يربط البحر الأبيض المتوسط بالسواحل الإيرانية. و كانوا في طريقهم هذه ينزلون في خانات بغداد أو "بابل" و يشاهدون النجف أو يتلبثون أيام مرورهم في الزبير.

و هكذا بقي ذكر العراق خاملا في العالم من قبل أن يعود به، فيجعله قبلة الأنظار من جديد، ظهور الصفويين الذين كانت شهرتهم آخذة بالنمو، و من قبل فتوحات سلطان الترك الشرقية، و توسع تجارة الأمم الغربية و مغامراتها)).

هذا ما كتبه المستر لونكريك في (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) ليأتي به على وصف علاقة العراق بالعالم الخارجي في تلك الأيام التي وقع فيها فريسة في أيدي الفاتحين من المغول و التركمان. و قد تطورت تلك العلاقة بعد ذلك فازداد اتصال البرتغاليين بالبصرة و خليجها بعد أن ثبتوا أقدامهم في هرمز. و كانت النهضة الحديثة في أوربة يومذاك قد دب فيها دبيب الحياة، و راحت أساطيل الأمم الكبيرة تتجه في إبحارها نحو الهند و البلاد المجاورة لها. فظهر الهولانديون و الإنكليز في موانىء الخليج العربي، و أسس الإنكليز شركة الهند الشرقية، و حمي و طيس المنافسة بين هذه الدول الثلاث حتى وصل إلى الاشتباك و التصادم. فاحتل الإنكليز حصن قشم البرتغالي المنيع في كانون الثاني ١٦٢٢ م، و ساعدوا الإيرانيين بأسطولهم في الاستيلاء على هرمز بعد عدة أشهر.

و مع أن هذا الحدث كان يعتبر ضربة قاصمة للنفوذ البرتغالي في تلك الجهات فقد ظلت المنافسة قائمة على قدم و ساق حتى استطاع البريطانيون القضاء على قوة البرتغاليين البحرية في ١٦٨٩ م. و عند ذاك ظلت المنافسة منحصرة بين الإنكليز و الهولانديين، فأظهر الهولانديون مهارة في التجارة بأساليب غير محمودة، و لكنها غير عنيفة. إذ أخذوا يهاجمون الأسواق بكل سلاح الرشوة و الدعاية الزائفة أو المضاربة المغرية. و مع هذا فقد صمد الإنكليز لكل ذلك فكان التوفيق حليفهم في النهاية. و خلالهم الجو فأصبحت لهم سيطرة مطلقة على المنطقة الممتدة من الهند إلى الخليج، ثم إلى داخل العراق. و قد تعاظم نفوذهم في أيام الباشوات المتأخرين من المماليك في العراق و من أتى بعدهم بحيث راحوا يتدخلون في كثير من شؤون العراق الداخلية، و يسخرون نفوذهم السياسي في إبقاء هذا الباشا أو ذاك متربعا على دست الحكم فيه.

و يقول لونكريك في هذا الشأن، "أما في داخل العراق فإن انتقال البلاد من حالة القرون الوسطى إلى حالة دولية حديثة قد زاد في اتصاله و تعاونه مع الممثلين الأجانب. فقد كانت المشاريع البريطانية من جهة تقوم بخدمات جليلة للعراق من دون أن تطلب شيئا في مقابل ذلك سوى تأمين توسع التجارة البريطانية. و كان حكام العراق المتعصبون من جهة أخرى مستائين من وجود هؤلاء الأجانب و امتيازاتهم، و صداقاتهم للقبائل، لكنهم لم يقووا على منع كل ذلك. فإن كبيرهم "المقيم" كان بوسعه أن يحطم كل شخص بكلمة واحدة تصدر منه إلى استانبول.. و بينما كان القنصل- التاجر في القرن الثامن عشر غير قادر على شيء سوى دوام "الامتيازات" و تركه حرا دون تعرّض له أصبح مقيم القرن التاسع عشر و هو المتكلم نيابة عن شركات البواخر، و هيئات إنشاء التلغراف، و الأثريين، و مؤسسات الهبات الخيرية. و لم تفتأ بعض استنجادات القبائل بالحماية البريطانية تزعج الباشا أشد الإزعاج.. ".

على أن نشأة التغلغل البريطاني هنا في بداية القرن التاسع عشر كان يتأثر إلى حد كبير بالمنافسة التي كانت موجودة بين بريطانية و فرنسة النابوليونية في الشرق الأوسط جميعه. و قد ظلت بريطانية على وضعها هذا حتى استطاعت القضاء على نابوليون أيضا، و تخلصت من شر الخطط التي وضعها لتهديد مركزها في الهند و ما جاورها. و في حوالي ١٨٣٠ م تبدأ المنافسة البريطانية الروسية في هذه الجهات من العالم، و تمتد إلى نهاية القرن تقريبا، لتحل محلها بعد ذلك المنافسة الإنكليزية الألمانية.

و في خلال هذه المراحل و الأدوار كلها كثر اتصال العراق بالعالم الخارجي و تعدّدت أوجهه، و صار الكثيرون من الأوربيين يقصدون هذه البلاد أو يمرّون بها. و يتجوّلون في أرجائها. أو يقيمون فيها مدة تقل أو تزيد تبعا لنوع العمل الذي يأتون من أجله أو المهمة التي يندبون لها. و قد عمد الكثيرون من هؤلاء إلى كتابة مذكرات أو يوميات عن رحلاتهم و سفاراتهم هذه، فكان بعضها مهما و بعض الآخر تافها لا قيمة له. فتوفرت من ذلك كله ثروة تاريخية غير يسيرة، لها قيمتها في توضيح الحوادث التي كانت تقع في شتى الأدوار التي مرت بها هذه البلاد و لا سيما في "عصورها المظلمة"، على ما فيها من تحيّز و تحامل في بعض الأحيان.

و لو أردنا أن نحصر الغايات و الأغراض التي كان أولئك السياح المسافرون يقصدون هذه البلاد من أجلها في تلك الأيام نجد أنها لا تخرج عن النقاط التالية: "التبشير، التنقيبات الأثرية، السياحة و المغامرة، الأغراض التجارية، التمثيل السياحي، و الانتداب لأغراض فنية أو عسكرية أو طبية، هذا فضلا عن المرور من هذه البلاد الواقعة بين القارات و خاصة في الطريق إلى الهند و إيران. و لذلك فقد أورد لونكريك وحده في قائمة مراجعه عن العراق للفترة ما بين ١٥٥٣ م و ١٩١٤ م أسماء لثماني و تسعين رحلة و تقرير و مقالة مسهبة، و كلها تصف العراق و أوجه الحياة فيه بطريقة أو بأخرى.

أما أصحاب هذه الرحلات فهم بين برتغالي و فرنسي، و هولاندي و ألماني، و إيطالي و إنكليزي، و أرمني و هندي، بالإضافة إلى أربعة من الأتراك. غير أن قسما كبيرا من أولئك هم من الإنكليز بلا شك.

و من جملة السياح الإنكليز هؤلاء، أو الرحالين، صاحب هذه الرحلة المستر جيمس بيلي فريزر، الذي كتبها بجز أين و سماها "رحلات في كردستان و بين النهرين". و هو رجل مهنته الكتابة، و قد قام برحلته في عام ١٨٣٤ م، فسافر من استانبول إلى إيران بمهمة ديبلوماسية و قطع المسافة على ظهور الخيل ثم تجول فيها حتى حط الرحال في تبريز. و أخذ يكتب منها إلى زوجته على ما يظهر رسائل متتالية فيها شيء غير يسير من التفصيل عن كل ما يرى في طريقه أو يفكر فيه. و تبدأ الرحلة المطبوعة هذه بالرسالة الأولى من تبريز، التي أرّخها في ٤ تشرين الأول ١٨٣٤ م. فيتطرّق في رسائله الخمس الأولى إلى وصف الحالة في تبريز و كردستان الإيرانية كلها و خاصة منطقة أردلان. و بالنظر لأن هذه المناطق تقع في إيران فقد ضربت صفحا عنها و لم أقم بترجمتها لأنها لا تمت بصلة قوية إلى تاريخ هذه البلاد. لكنني وجدت من المناسب، بل من الضروري، أن أقوم بترجمة قسم كبير من رسالته الثالثة (المؤرّخة في ١٧ تشرين الأول ١٨٣٤ م) لأنه يتطرّق فيها عرضا إلى شؤون راوندوز من تاريخ الأصقاع الشمالية من العراق نفسه. و قد أهملت كذلك قسما غير يسير من الرسالة الخامسة عشرة (الأخيرة) المطبوعة في الجزء الأول لأنها تتطرّق في بحثها إلى عشائر عربية تدخل في داخل الحدود التركية أولا، و لأن البحث المتروك يعدّ شيئا تافها لا قيمة تاريخية له.

أما الرسائل الأخرى التي يحويها الجزء الأول من الرحلة، أي الرسالة السادسة إلى الخامسة عشرة، فهي التي تؤلف مجموع هذا الكتاب الذي أطلقت عليه تجاوزا اسم (رحلة فريزر إلى بغداد في ١٨٣٤ م)، و لهذه الرسائل، عدا ما فيها من طرافة، أهمية تاريخية غير يسيرة. لأنها تجلو لنا كثيرا من مراحل التاريخ العراقي في أواخر أيام داود باشا أو أوائل العهد الجديد الذي دخل فيه العراق، بعد أن تعاونت الأقدار و جيوش السلطان في القضاء على باشوات المماليك و عهدهم و وضعت حدا لاستقلالهم في الحكم عن الباب العالي في استانبول.

و لمجتمع بغداد و محلاتها و طبقات السكان فيها، مع العادات و الأزياء و الملابس. هذا و قد علّقت على كل ذلك ما أمكن التعليق توضيحا للحقائق و ربطا لها بالحوادث التاريخية العامة على قدر الإمكان.

أما الجزء الثاني من الرحلة ففيه تسع عشرة رسالة أيضا، و هي تتناول سفرات أجريت إلى سلوقية و طاق كسرى، ثم إلى آثار بابل و الحلة و ما جاورهما، و إلى مخيم زبيد و بعض العشائر الأخرى، و إلى منتفك و سوق الشيوخ و ما حوله. و يلاحظ من هذه الرسائل أن صاحب الرحلة يعود إلى بغداد ثم يغادرها متوجها إلى إيران ثانية عن طريق ديالى التي يكتب عنها شيئا أيضا. و لم يسمح لي المجال مع الأسف أن أقوم بترجمتها.

مدينة الصويرة.. التأسيس والمعالم

صادق الطائي

تقع مدينة الصويرة جنوب العاصمة بغداد وتبعد عنها ٦٨ كم وعن محافظة واسط ١٢٨ كم وعن محافظة بابل ٨١ كم، وهي اليوم قضاء يتبع لمحافظة واسط. تتمتع الصويرة بهواء نقي وسماء زرقاء صافية وجوها معتدل بسبب كثرة المساحات الخضراء فيها والبساتين المحيطة بها، وجوها مماثل لأجواء المنطقة الوسطى من العراق. تعد المدينة عروس محافظة واسط وأحد أقضيتها المهمة الواسعة، فهي تحتضن نهر دجلة بذراعيها وأمامها شبه جزيرة ربيضة، الواقعة شرق دجلة.

تأسيس المدينة

يقول مؤرخ الصويرة الحديثة عبد المطلب الموسوي في كتابه "الصويرة حاضرها ومستقبلها": "ذهبت هنا وهناك وسألت هذا وذاك، وانغمرت في وسط من الشيوخ سائلا وباحثا ومنقبا عن تاريخ تأسيس الصويرة القديمة التي انشئت شرقي بدعة حمد واتضحت لي الحقيقة الكاملة بعد تدقيقها والتأريخ الصحيح بعد ذلك، ان الذين وجّهت لهم أسئلتي أرشدوني إلى رجل عاصر وجود الصويرة القديمة ونهايتها وبناء الصويرة الحديثة وبدايتها. ذلك الرجل الكبير الذي رأينا ان نأخذ هذه المصادر منه هو محمد بن سعودي، الذي بلغ من العمر مئة وثلاثة وعشرين عاما، وقال عمري كان ثماني سنين عند بدء تأسيس الصويرة القديمة، وأضاف ان الصويرة القديمة عمرت خمس وأربعين سنة ثم غرقت بعض بيوتها وانتقل سكانها إلى الصويرة الحديثة. وإذ عرفنا ان الصويرة الحديثة تأسست عام ١٣١٤هـ أي ان عمرها حتى عام ١٣٨٢ بلغ ٦٨ عاما فإذا ما أضفنا هذه الأعوام على الـ ٤٥ التي عاشتها الصويرة القديمة، حينئذ نتمكن من ان نحصر ونجمع عمر الصويرة القديمة والحديثة في ١١٣ سنة حتى كتابة الكتاب. وبذلك نكون قد تأكدنا من ان الصويرة القديمة تأسست عام١٢٦٩هـ يقابلها في السنة الميلادية ١٨٥٢هذا هو التاريخ الهجري والميلادي الذي تأسست فيه الصويرة القديمة ومن المرجح انها تأسست في السنة التي مات فيها الشيخ وادي الشفلح أي ١٢٧١ هـ".

كما يشيرعدد من الباحثين إلى ان المدينة كان يطلق عليها اسم "الصيرة" وأن سبب تسميتها بهذا الاسم يعود إلى ان أول قائمقام وهو محمد بن المجيهيل، قد أعطى صلاحيات إلى محمد الطعمة، وهو شيخ عشيرة وبدوره أمر أقاربه بنقل القصب والحطب والصريم وعملوا صيرة أي سياج، يسع للقائمقامية وللجندرمة وعلى هذا الأساس سميت المدينة بالصيرة. وبنيت دار للحكومة تتألف من قائمقام وجندرمة، ويبدو أن السكان قد استحسنوا هذا المسمى وما زالوا يستخدمونه حتى يومنا ويطلقون على مدينتهم اسم الصيرة. كما ان سبب تسمية المدينة الجديدة الصويرة كان للتفريق في مراسلات البريد بين الصيرة والبصرة، وكما أشرنا سابقا فقد تأسست المدينة الجديدة سنة ١٨٥٢م ولم يعترف بها رسميا إلا عام ١٨٨٤م أي بعد نشوئها بـ ٣٢ سنة حيث نظمت بصورة قضاء وسجلت في "سلمانت بغداد" (الجريدة العثمانية الرسمية لولاية بغداد) وبقيت مرتبطة مع بغداد إداريا مدة٤١ سنة ثم انفصلت عنها والحقت بالكوت عام ١٩٣٧م.

ثانوية الزعيم

لقد تبرع رئيس الوزراء العراقي الزعيم عبد الكريم قاسم، الذي قضى طفولته في مدينة الصويرة والتي تنحدر منها والدته، وآلت له بعض الأملاك التي ورثها عن عائلته ومنها أربع قطع من الأرض، تبرع بها وهو في سدة الحكم لتصبح تحت تصرف الدولة، إذ جاء في وثيقة التبرع ما نصه: "يسرني جدا ان أضع تحت تصرف أبناء الشعب الدور والأملاك المسجلة باسمي في الطابو، المثبتة أرقامها في هذه الرسالة وهي دور سكنية في قضاء الصويرة كانت تعود إلى والدي وأقاربي، وقد قضيت فيها أيام طفولتي ودراستي الأولى حتى الصف الرابع. ان هذه الدور تشكل في مجموعها ساحة واحدة تحاط بالشوارع من جهاتها الأربع وتقع مقابل نهر دجلة، وأنني أهبها إلى الدولة وأرغب ان يستفيد منها أبناء الشعب في الجمهورية العراقية الخالدة بشرط أن يجري توحيد هذه الأملاك والدور في قطعة واحدة تأخذ رقم التسلسل ٢ / ١ / ١ وهي رقم الدار التي سكنتها أيام طفولتي مع والدي وأهلي في الصويرة، وان يتم توحيدها وتسجيلها باسمي ثم توهب إلى الدولة وتسجل نهائيا باسم وزارة المالية وتهيأ لاستفادة أبناء الشعب منها كمدرسة ثانوية للبنات، على ان تنشأ مقابلها في اتجاه نهر دجلة حديقة ملائمة. أرجو سرعة الاستفادة منها وفقا لما يقرره مجلس الوزراء بشأنها وإعلامنا". وقد ولدت فكرة بناء مدرسة ثانوية للبنات لدى الزعيم نتيجة خلو مدينة الصويرة من مدرسة ثانوية للبنات حينها حيث كانت الطالبات يتلقين دروسهن في بناية القائممقامية.

وتم فعلا بناء ثانوية أطلق عليها "ثانوية الزعيم للبنات" وتم افتتاحها عام ١٩٦١ وأصبحت إحدى العلامات المهمة هي والمكتبة العامة التي بنيت مقابلها والتي ربط بينهما نفق يمر تحت الشارع العام. وقد كتب أستاذ العمارة العراقية د. خالد السلطاني عن هذه المدرسة قائلا: "عمارة مبنى ثانوية الزعيم للبنات في الصويرة (١٩٦١) تظل الحدث المميز في مجمل خطاب عمارة الضواحي لمصممها المعماري العراقي قحطان عوني نظرا لعمارتها الفريدة التي تغوي بقراءة نقدية، قراءة خاصة على ما يسمى بالنقد التناصي".

تاريخ وآثار

لقد ضمت مدينة الصويرة آثارا ومقامات وأضرحة بعض الأنبياء والأولياء، إلى جانب الآثار السومرية والبابلية وغيرها. ويمكن ملاحظة ذلك من اللُقى التي عثر عليها الأهالي تحت أطلال التلال المنتشرة هنا وهناك، وعن طريق النبش العشوائي، لعدم وجود سلطة تحمي هذه المتروكات.

ومن الشواهد المهمة فيها مقام النبي شيت(ع) والذي يقع في الشمال الغربي من قضاء الصويرة، في منطقة "السَمْرَة" ويقال ان هذا المقام هو (خطوة) ويقصد بها أن النبي شيت (ع) مَرَّ من هنا وصلى في هذه البقعة. كما يوجد في المدينة مقام آخر هو مشهد نبي الله ابراهيم الخليل (ع) ويقع في منطقة أثرية تدعى تل العقير على بعد (٥١ كم) إلى الجنوب من بغداد، وشمال غرب منطقة الصويرة، وشمال شرق مدينة جُبَلَة، بالقرب من أطلال كوثا المعروفة في المنطقة باسم جبل ابراهيم.

أما منطقة كوثا فإنها عبارة عن تلال تقع شمال ناحية جبلة التابعة حالياً لمحافظة بابل، غير أنها كانت تتبع إدارياً قضاء الصويرة. وقد أشير إلى هذا المزار في كتاب "مراقد المعارف" لمؤلفه محمد حرز الدين، ج١: ص٢٥. وجاء فيه: "وهاجر ابراهيم مع أبويه إلى بابل وأقاموا في قرية كوثي رُبى، وكان فيها نموه ونشأته، وفيها صار ينكر على النمرود وقومه، حيث اتخذوه إلها يعبدونه من دون الله تعالى، وهنا رماه النمرود بالنار التي أعدها، وقد جعلها الله برداً وسلاماً".

وربما كان مرقد السيد تاج الدين (رض) من أهم المراقد في الصويرة، وهو سيد من الأشراف من نسل الرسول الكريم عاش في حقبة دولة المغول الاليخانيين في العراق حوالي ٧١٠ هـ. وتروي سيرته على ان السيد تاج الدين، كان من أبرز علماء عصره في أمور الدين والدولة، فولاه السلطان اولجانيود نقابة الأشراف، وقد انتهت حياته قتلاً، كما ذُبِحَ نجليه أمامه قبل قتله، بتحريض من يهود منطقة الكفَل. وسبب قتله كما تروي سيرته، انه كان قد ابتنى مسجداً قرب مشهد النبي ذو الكفل (ع) وبذلك امتنع على اليهود طريق الزيارة، فتربصوا له وكادوا له لدى السلطان ودبروا أمر قتله نهاراً جهاراً، بأمر السلطان الذي قتله شَرَّ قتلة في المكان الذي فيه المقام. وكانت بناية المرقد في ناحية الحفرية التابعة لقضاء الصويرة عبارة عن غرفة بسيطة في البداية ثم شملتها الرعاية لاحقا وأزيحت الغرفة وشيدت على القبر قبة عالية، وتوسعة للفناء فصار صحناً كبيرا.

كما توجد في الصويرة بقايا المعبد المجوسي الكبير الذي يعرف محليا بـ"جَباب النار" أي مؤجج النار وهو بقايا لبناء غير واضح المعالم، بسبب عوامل التعرية التي أكلت أركانه، ويقع على ربوة تشبه التل، إلى الجنوب الغربي من مدينة الصويرة، وإلى الغرب من ناحية الشحيمية. التابعة لقضاء الصويرة. أما أبرز التلال المحيطة بمدينة الصويرة فهي تلال غرب الصويرة، وأبرزها تل الثابتي، وتل الجُبَيل، وتل أمدينة، وتل الجحيشيات، وتل الطواكيات، وتل المتثالثات، وتل أم النار، وتل العقير، وتل كوثي، وكل هذه التلال هي تجمعات أثرية غير مفهرسة وغير مدروسة ولم تتم فيها عمليات تنقيب نظامية حتى الآن.

من خفايا الصراع السياسي في العهد الملكي

كيف انتهت عينية مزاحم الباجه جي؟

د. فهد أمسلم زغير

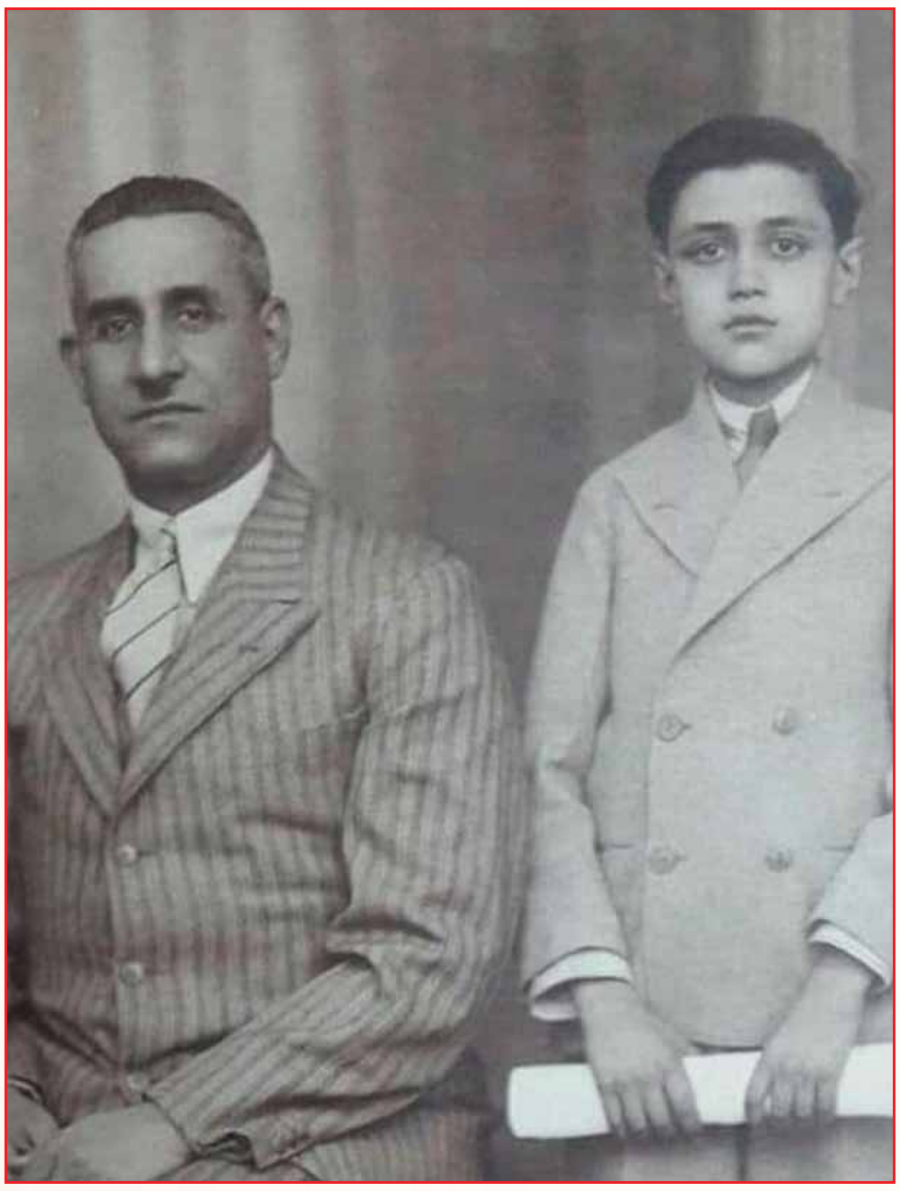

أصبح مزاحم الباجه جي نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية في وزارة علي جودت الايوبي الثانية التي تشكلت في العاشر من كانون الأول ١٩٤٩ وكان الغرض من تشكيلها بالدرجة الاساس هو تحقيق الاتحاد بين سورية والعراق استجابة للرغبة التي ابداها بعض زعماء سورية، الا ان قيام العقيد أديب الشيشكلي بانقلاب ثالث بعد تسعة ايام من تشكيل وزارة الايوبي أطاح بآمال الوصي والمؤيدين للاتحاد مع سورية وقضى على كل أمل بقيام مثل هذا الاتحاد لان اديب الشيشكلي تقرب من المحور المصري – السعودي، درست الوزارة الايوبية الوضع الجديد في سورية، فرأت ضرورة التفاهم مع مصر والتقرب منها، لاسيما بعد ان جرت انتخابات عامة في مصر اسفرت عن فوز حزب الوفد، واسناد رئاسة الوزراء الى مصطفى النحاس، فانتهزها الايوبي فرصة لتحسين العلاقات العراقية – المصرية، فارسل برقية الى النحاس يهنئة فيها على تسنمه منصبه الجديد، فرد عليه النحاس ببرقية شكر ركز فيها على ضرورة توثيق الروابط بين البلدين لما فيه خير البلاد العربية، وتحقيق أهدافها القومية.

ومما ساعد وزارة علي جودت الايوبي على توثيق علاقاتها مع مصر ان رئيسها اشترط على الوصي عبدالاله قبل تشكيلها وعند تكليفه بذلك ان يترك له حرية العمل للتقارب بين العراق ومصر، اذا ما أريد تبديد مخاوف المصريين والسعوديين من التقارب العراقي – السوري، فوافق الوصي علي ذلك بعد تردد وتلكؤ.

كان مزاحم الباجه جي مزمعاً على السفر الى القاهرة بعد فترة قصيرة من تأليف الوزارة الايوبية، الا انه فضل التريث لحين انتهاء الحملة الانتخابية هناك التي فاز فيها حزب الوفد باغلبية ساحقة، وتشكلت الوزارة الجديدة في الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٥٠، فقرر مزاحم الباجه جي السفر الى القاهرة واصطحب معه نجيب الراوي) وزير المعارف، وأجرى بصفته وزيراً للخارجية مباحثات مع محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرية في الثالث والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين من كانون الثاني ١٩٥٠ اسفرت عن عقد ما سمي باتفاق الكرام.

تضمن هذا الاتفاق امتناع كل من العراق ومصر على مدى خمسة اعوام من تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق من التدخل في شؤون سورية الداخلية، ومن آثاره أو تشجيع ما قد يعد تدخلاً فيها بالذات أو الواسطة، وان تعمل الدولتان بالتضامن وبعيداً عن مواطن التدخل لتستقر الاوضاع في سورية على وضع دستوري سليم يستند الى رغبة ومشيئة الشعب السوري، وتعهد الطرفان بعرض هذا الاقتراح على حكومته لترى فيه رأيها.

وجد الوصي عبدالاله في هذا الاتفاق خير وسيلة للتخلص من وزارة علي جودت الايوبي واجبارها على الاستقالة، فعقد اجتماعاً في قصر الرحاب في اليوم الذي وصل فيه مزاحم الباجه جي ونجيب الراوي الى بغداد وهو الثالثين من كانون الثاني سنة ١٩٥٠، حضره رئيس الوزراء علي جودت الايوبي، والوزراء، وعدد من رؤساء الوزراء السابقين وبعض رؤساء الاحزاب السياسية والوزارات السابقة، جرى فيه بحث الاتفاق الذي عقده مزاحم الباجه جي مع وزير الخارجية المصرية.

وبعد اربعة ايام من قبول الوصي عبدالاله لاستقالة وزارة علي جودت الايوبي عقد مزاحم الباجه جي مؤتمراً صحفياً في داره تطرق فيه الى موضوعات شتى، لاسيما عقده (اتفاق الكرام) مع مصر وتأكيده على ان " مصر، بامكانياتها العظيمة، هي الدولة الوحيدة التي في امكانها توحيد العرب وتوجيههم الى ساحل السلامة... "، واستشهد مزاحم الباجه جي بما ذكره الزعيم السوري سعد الله الجابري عام ١٩٤٤ الذي قال عن مصر " ان البلاد العربية تعترف، وتسلم بزعامة مصر، راضية، مختارة، وهي لا تقول ذلك اعتباطاً بل نتيجة تفكير عميق ودراسة للواقع، فان وراء مصر تاريخاً من الجهاد القومي ساعدها على تركيز كيانها... وقد نشأ فيها رجال يستطيعون ان يتولوا توجيه القضية العربية بما لديهم من مزايا ووسائل، وبما تتمتع به مصر من انسجام بين أهلها، وذلك علاوة على الثروة والعدد والحضارة، وهذه كلها عناصر قوة تتميز بها مصر".

ظل الوصي عبدالاله يكن لمزاحم الباجه جي كرهاً، وكان الأخير يعرف كره الوصي له، وجاء توقيع (اتفاق الكرام) ليزيد من توتر العلاقة بينهما، الامر الذي استغله بعض المؤيدين للوصي عبدالاله في اثارة عدم دستورية تعيين مزاحم الباجه جي عضواً في مجلس الاعيان، ونجحوا في الغاء عضويته منه في العاشر من نيسان ١٩٥٠، وصدرت الارادة الملكية بذلك بعد يوم واحد من اتخاذ المحكمة العليا قرارها حول هذا الموضوع.

لم يكن مزاحم الباجه جي نائباً أو عيناً عندما شكل وزارته الأولى في السادس والعشرين من حزيران ١٩٤٨، ولكن بعد اسبوع من تبوأه منصبه بعث السكرتير العام لديوان مجلس الوزراء بارادة ملكية بتعيين مزاحم الباجه جي عضواً في مجلس الاعيان لتقترن بمصادقة هيأة النيابة التي كانت تتألف من السيد محمد الصدر وجميل المدفعي ونصرت الفارسي لان الوصي كان خارج العراق، فأعيدت الارادة الملكية من دون توقيع، فارسلها مزاحم الباجه جي رئيس الوزراء الى الوصي عبدالاله الذي كان في فلسطين، فوقع عليها في الحادي عشر من تموز، ولما عاد الوصي الى بغداد بعد انتهاء زيارته من فلسطين، تقدم مزاحم الباجه جي بارادة ثانية لتثبيت عينيته، فلم ير الوصي داعياً لذلك لان الارادة الملكية التي وقعها وهو في فلسطين كافية لعده عضواً في مجلس الاعيان، واكد الوصي لمزاحم الباجه جي اذا ظهرت في المستقبل ضرورة لاستصدار إرادة ثانية، فانه سوف لن يتأخر عن توقيعها، فاطمأن مزاحم الباجه جي لذلك، وعد الأمر بالنسبة له منتهياً.

وطوال الفترة التي تسنم فيها نوري السعيد وزارته العاشرة في السادس من كانون الثاني حتى العاشر من كانون الأول ١٩٤٩، واعقبه علي جودت الايوبي الذي استمرت وزارته حتى الاول من شباط (١٩٥٠)، لحين مجيء الوزارة السويدية الثالثة في الخامس من شباط ١٩٥٠، لم يعترض أحد على عينية مزاحم الباجه جي أو يشكك بها، واسهم مزاحم الباجه جي بمناقشات مجلس الاعيان وابدى رأيه في القضايا التي كانت تطرح عليه، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما عرضت لائحة قانون ذيل مرسوم اسقاط الجنسية العرقية رقم (٦٢) لعام ١٩٣٣ أكد مزاحم الباجه جي في جلسة السادس عشر من شباط ١٩٥٠ إن هذه اللائحة " تسهل لشرذمة استهترت بقوانين البلاد وارغمت الحكومة على تحقيق رغباتها "، وخاطب زملاءه قائلاً " انتم بلا شك تعلمون التأثير السيء الذي تحدثه مثل هذه السياسة في العراق وفي البلاد العربية. وجاء كلام مزاحم الباجه جي منسجماً مع ما توصل اليه تقرير مجلس الاعيان الذي اكد على التأثيرات السياسية والاقتصادية لاسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين الذين هربوا مبالغ كبيرة من العراق الى الخارج، وما ادت اليه هجرتهم من خلل اقتصادي داخل العراق لدورهم في تسيير هذا الجانب المهم.

أثيرت قضية الغاء عينية مزاحم الباجه جي اثر القاءه خطبته المطولة على المنهاج الوزاري الذي تقدمت به وزارة توفيق السويدي الثالثة بعد عشرين يوماً من تشكيلها، فهاجم الوصي عبدالاله دون ان يسميه بالاسم قائلاً " كلكم تعلمون ان الظروف، والظروف مع الاسف قاسية، خلقت اناساً لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة يسيرون أمور الدولة بوسائل غريبة، واشكال عجيبة، فهم يلتجئون الى اساليب تيمورطاشية، مع اننا نعلم ان هذه الاساليب التيمورطاشية قد ذهبت، وقضت عليها الظروف، وذهبت بدون رجعة، وقضت على تيمورطاش تلاحقه اللعنات على الدوام، وكلنا نعلم، ولكن مع الاسف نخشى ان نبوح بالحقيقة، وهي ان في العراق اناساً محدودين، يسيرون أمور الدولة حسب رغباتهم الشخصية، وذلك بالتجائهم لاساليب عجيبة غريبة في هذه الدولة.

لم يكن بامكان الوصي عبدالاله ان يتقبل من مزاحم الباجه جي مثل هذا الكلام القاسي بحق سياسته، وعده طعناً بتصرفات رئيس ديوانه احمد مختار بابان، وجرأة غير مسبوقة لعين تجرأ وقال مثل هذا الكلام، فاضحى من الضروري معاقبته على كلامه هذا، فتم اثارة قضية عدم دستورية عينيته من قبل المؤيدين للوصي التي " تجاهلتها وزارتان متعاقبتان، بعد استقالة وزارته، فلم تظهر الا في عهد هذه الوزارة، بعد ان برزت معارضة الباجه جي للعيان باجلى صورها.

تبنى هذا الموضوع بشكل اساس صالح جبر وزير الداخلية في جلسة مجلس النواب التي عقدت في الثامن والعشرين من آذار ١٩٥٠ عندما طرح النائب محمد جواد حيدر سؤالاً حول عدم دستورية تعيين مزاحم الباجه جي عضواً في مجلس الاعيان، فرد عليه وكيل رئيس الوزراء صالح جبر بانه ليس في استطاعة الحكومة ان تبت في الامر، وليس لها الا " ان تحيل الأمر الى المحكمة العليا التي من اختصاصها النظر في أمر كهذا، وللمحكمة العليا النظر فيه، والبت فيه على ضوء احكام الدستور وحسب مقتضياته".

وبالفعل عرض موضوع عينية مزاحم الباجه جي على المحكمة العليا للبت في دستورية هذا التعيين، ونظرت المحكمة في السؤال الموجه اليها من مجلس الوزراء المتعلق بمدى حق الملك في ممارسة صلاحياته الدستورية وهو في خارج حدود العراق، وجاء قرارها في الجلسة الخاصة التي عقدتها في العاشر من نيسان ١٩٥٠ ليتضمن عدم دستورية هذا الحق بموجب المادة الثالثة والعشرين من القانون الاساسي العراقي لان ممارستها تصبح من اختصاص النائب عنه أو هيأة النيابة. وعقب ذلك بيوم صدرت ارادة ملكية تضمنت الغاء الارادة الملكية السابقة المتضمنة تعيين مزاحم الباجه جي عضواً في مجلس الاعيان، وهكذا انهيت عينية مزاحم الباجه جي.

عن رسالة (مزاحم الباجه جي ودوره السياسي..)

العدد (5674) السنة الحادية والعشرون - الاثنين (20) أيار 2024
www.almadasupplementscom

تأسيس مدرسة الحقوق في بغداد.. الفكرة والتنفيذ

أحمد مجيد الحسن

يُعَد تأسيس مدرسة الحقوق في اسطنبول سنة ١٨٧٤ أول مدرسة عليا تخرج فيها الطلبة العراقيون، وظلت هي المدرسة الوحيدة التي ترفد الدوائر العدلية المختلفة في أرجاء الدولة العثمانية - التي كان العراق جزءاً منها الى سنة ١٩١٨ - بالمختصين في مجال القانون، إلّا أنها غدت غير قادرة على تلبية الطلبات المتزايدة من الولايات المختلفة، لا سيما بعد التوسع الذي تحقق في مجال المحاكم النظامية في أواخر عهد السلطان (عبد الحميد الثاني)، كما ان قسما من خريجيها كانوا لا يرغبون في الخدمة في أماكن بعيدة عن أهاليهم، فضلا عن ان الكثير من أبناء الولايات البعيدة كالولايات العربية من الراغبين في إكمال تحصيلهم في الحقوق، لم يكن في وسعهم الالتحاق بمدرسة الحقوق في إسطنبول، لبعدها وما تتطلبه من مصاريف باهظة للنقل والدراسة والسكن والمعيشة.

لكل ذلك سعت الدولة سنة ١٩٠٧م إلى تأسيس ثلاث مدارس في ارجاء الدولة المختلفة في كل من حلب وقونية وسلانيك – مدينة يونانية حالياً – لكنها قامت بتأسيس مدرسة للحقوق في كل من بغداد وبيروت وصرفت النظر عن فتح المدرسة في حلب.

وكان لبعد مدينة اسطنبول وصعوبة السفر وكلفته التي لا يقدر عليها إلا القليل، وكذلك ندرة وسائط النقل وصعوبة العيش في الغربة، ورغبتهم في الاخذ بأسباب العلم والرقي، كل ذلك دعا العراقيين الى طلب تأسيس مدرسة للحقوق في بغداد.

وقد تحقق ذلك بعد زيارة اللجنة الإصلاحية للعراق سنة ١٩٠٧م برئاسة (ناظم باشا) الذي قام بعد وصوله إلى العراق بالتشاور مع كبار موظفي بغداد ووجهائها الذين اقترحوا عليه فتح مدرسة للحقوق في بغداد.

وجاء في مذكرات (توفيق السويدي) رئيس وزراء سابق وعميد مدرسة الحقوق في عشرينات القرن الماضي– ان والده (يوسف السويدي) قصد الوالي (ناظم باشا) يرجوه ان يتوسط لدى الحكومة المركزية بأن يجعل كلية حلب في بغداد، لان حلب متصلة بالبحر وبوسائط أخرى باسطنبول، فأهلها لا يعانون مشاق الذهاب الى العاصمة والدخول في مدارسها العالية، أما بغداد فان بعدها عن العاصمة وانزواءها يجعلانها بحاجة اشد الى كلية حقوق تؤسس فيها.

وكان للطلبة العراقيين الدارسين في مدرسة الحقوق في اسطنبول التي أسست سنة ١٨٨٢م أثر بالغ في إنشاء المدرسة في بغداد حيث أتيحت الفرصة لعدد من الطلبة للدراسة في اسطنبول الذين شغلوا مناصب مهمة في العراق بعد تخرجهم في تلك المدرسة، وهي مناصب إدارية وقضائية فضلاً عن العمل في المحاماة، وذلك في دعوتهم لإنشاء مدرسة في بغداد تدرس فيها القوانين وتوفر على الطلبة مشاق السفر والإقامة للدراسة في اسطنبول.

إن افتتاح مدرسة الحقوق في بغداد هو خطوة هامة في تاريخ التعليم العالي في العراق فهي أول مدرسة عليا في العراق، ولأنها أصبحت الرافد الاصيل للحقوقيين والمحامين العراقيين، فقد مارس معظم خريجيها المحاماة، كما قام قسم منهم بالتدريس في المدرسة بعد افتتاحها، وتولى القسم الاخر الوظائف الحكومية الهامة التي ساهمت في تأسيس وبناء العراق الجديد في مطلع القرن العشرين بعد زوال الحكم العثماني.

تأسيس المدرسة

تعود فكرة تأسيس مدرسة للحقوق في الولايات العربية العثمانية إلى سنة ١٨٧٩م حيث قدم المفتش (باشا)) مذكرة إلى السلطان (عبد الحميد الثاني) يقترح فيها تأسيس مدرسة للحقوق في كل من ولايات بغداد والشام وقوصوة – كوسوفا، وقبول مائتي طالب في كل واحدة منها، فأحال السلطان (عبد الحميد الثاني) المذكرة إلى الباب العالي – رئيس الوزراء – لبيان رأيه، إلا أن الباب العالي أبدى تحفظه على تأسيس هذه المدارس، فبيّن أن تأسيسها لا يتوقف على المال فقط، بل على عناصر أخرى مازالت مفقودة هذا الوقت في هذه الولايات، فهذه المدارس تندرج ضمن المدارس العالية، ويتطلب من المقبولين فيها حيازتهم على شهادة الدراسة الإعدادية أو امتلاكهم معلومات تعادل المعلومات التي يمتلكها خريجو الدراسة الإعدادية، والحال أن الولايات المذكورة ما زالت تفتقر إلى المدارس الإعدادية، ولهذا لا يمكن إيجاد طلاب بالمواصفات المذكورة لهذه المدارس عند تأسيسها، ومن غير الممكن توفير معلمين لهذه المدارس، ولهذا فإن إقامة هذه المدارس في ظل هذه الظروف لن تجدي نفعاً، ولن تحقق النتائج المرجوة عنها، فاقترح صرف النظر عن تأسيس هذه المدارس في هذا الوقت، والاكتفاء بمدرسة الحقوق باسطنبول التي ترفد محاكم الدولة بولاياتها المختلفة بالحكام وغيرهم من موظفي الدوائر العدلية، وتوسيعها وذلك بتشجيع الطلاب من الولايات المختلفة للدراسة فيها.

فأقر مجلس الوزراء تلك المقترحات، وطلب من وزير العدلية الأخذ بها، لارتباط مدرسة الحقوق بوزارة العدلية في ذلك الوقت، والعمل على تطوير موادها الدراسية والارتقاء بها إلى مستوى مدارس الحقوق الأوربية، ولكل ذلك تأجل تأسيس مدرسة الحقوق في الولايات ومنها ولاية بغداد إلى أجل غير مسمى.

وفي سنة ١٩٠٧م طرح موضوع تأسيس مدارس الحقوق على بساط البحث ثانية حيث تقرر تأسيس ثلاث مدارس حقوق في سلانيك وقونية وحلب، ولم يدرج اسم بغداد ضمن هذه المدن كما مر بنا سابقاً.

ولم تتم إثارة موضوع تأسيس مدرسة حقوق في بغداد إلا في سنة ١٩٠٨م، بعد أن أخذت الدولة العثمانية بمسألة الإصلاحات في الولاية على محمل الجد عندما فكرت في أواخر عهد السلطان (عبد الحميد الثاني) في تأليف هيئة أطلق عليها اسم (الهيئة الاصلاحية للخطة العراقية) ارسلتها السلطة لدرس أوضاع البلاد ورسم منهج للنهوض بها من النواحي الإدارية والاقتصادية والثقافية، وألفت لجنة استشارية في ولاية بغداد ساعدت الهيئة الإصلاحية في تسهيل مهامها..

وبعد ان طافت في ارجا العراق قدمت اقتراحات عدة في الامور التي درستها، ومن بين هذه المقترحات تأسيس مدرسة حقوق في بغداد.

وقد مربنا سابقاً موقف أهالي بغداد من تأسيس المدرسة في بغداد من خلال سعي السيد يوسف السويدي لدى والي بغداد (ناظم باشا) لتحقيق ذلك.

ورأى (ناظم باشا) أن هذه الإصلاحات لا يمكن تحقيقها إلا بتوافر الكوادر المتخصصة واللازمة لها، ولهذا أرسل في ١١ شباط ١٩٠٨ برقية إلى الصدر الأعظم وإلى المابين السلطاني – مقر السلطان – أكد فيها على ضرورة تأسيس مدرسة للحقوق في بغداد، وذلك لعدم الاستفادة من مدرسة الحقوق المزمع تأسيسها في حلب لبعد المسافة بينها وبين بغداد.

ويبدو أنه وضع بنظر الاعتبار أن الحكومة قد تعترض على مقترحه لأسباب مادية، فاقترح أن تتم تغطية نفقات تأسيس المدرسة بما يفيض عن موارد الرسوم المستوفاة في المحاكم العدلية في الولايات الثلاث: بغداد والموصل والبصرة والمخصصة للمعارف، على أن تتحمل نصف نفقاتها ولاية بغداد والنصف الآخر ولايتا الموصل والبصرة بالتساوي. وهذا نص الاقتراح:

"برقية"

التاريخ: تموز ١٩٠٧

الرقم: ٨٣٩٢

"حضرة الصدر الأعظم"

"من أجل زيادة العلوم والمعرفة لأهالي مدينة بغداد ونشر الثقافة والتعرف على الأنظمة والقوانين العدلية، نقترح تأسيس مدرسة للحقوق في بغداد على غرار مدارس الحقوق التي تم افتتاحها، وأيضاً في الموصل والبصرة، راجين من حضرتكم إصدار أمر عثماني بشأن تأسيس مدرسة الحقوق في بغداد".

رئيس هيئة إصلاح القوانين العراقية – ناظم

وقد لقي الاقتراح قبولاً حسناً من الحكومة العثمانية، وأقرّ مجلس الوزراء هذا المقترح، بعد أن كان المقرر تأسيس المدرسة في حلب كما مر بنا سابقاً، فصدر في ١ آذار ١٩٠٨ مرسوم تأسيس المدرسة في بغداد على وفق ما ورد في برقية رئيس الهيأة الإصلاحية، وهذا نص المرسوم:

مجلس الوزراء العثماني

"بناءً على الطلب المُقدّم من أهالي بغداد والهيئة الإصلاحية الحقوقية في بغداد بشأن تأسيس مدرسة الحقوق، فقد نَظر المجلس في ذلك خلال اجتماع موسع بجلسة خاصة، وتداول الموضوع من جميع جوانبه الإدارية والمالية، ووافق على تأسيس مدرسة الحقوق في بغداد فقط، حيث طلب أهل الموصل والبصرة نفس الطلب، لكن الموافقة صدرت بفتح مدرسة الحقوق في بغداد وتم إبلاغ وزارة المعارف العثمانية بذلك من أجل المباشرة بافتتاح المدرسة، وإعداد الكادر اللازم لها"

صدر في ١ آذار ١٩٠٨.

ثم صدرت الإرادة السنية – الامر السلطاني – بتأسيس المدرسة في بغداد في ٤ آذار/ مارس ١٩٠٨.

وفي ١٤ آذار وافق الباب العالي على تعيين مدير معارف بغداد (توفيق بك) مديرا لمدرسة الحقوق إضافة إلى وظيفته، فيكون بذلك أول مدير يتولى إدارة المدرسة.

ويبدو أن وزارة المعارف بعد صدور قرارها بتأسيس المدرسة وتعيين مدير لها لم تذهب أكثر مما ذهبت إليه، فلم تبلّغ ولاية بغداد بالإجراءات المتعلقة بتأسيس المدرسة، فاضطر (ناظم باشا) الى رفع برقية إليها في ١٩ أيار/ مايو ١٩٠٨، استفسر فيها عن الجهة التي تقوم بتحديد مناهج مدرسة الحقوق ورواتب المعلمين، وفيما إذا كان اختيار المعلمين يتم من قبل الولاية أم لا.

مقدمة مذكرات محمود صبحي الدفتري عن تأسيس مدرسة الحقوق.

من تاريخ كربلاء في عهد الاحتلال البريطاني

كربلاء والموقف من الاستفتاء عن مستقبل العراق ١٩١٨

قام البريطانيّونَ بعد احتلالِ بغداد في ١١آذار (١٩١٧م) بترتيب أمور السّيطرة، ومنها كسب مشاعر النّاس وعواطفهم بإصدار بيان في ١٩ من الشهر نفسه يحملُ توقيع الجنرال (الفريد موند)، والذي أصبح وسيلة لكسب مشاعر العراقيّين ومنهم أهالي كربلاء، ونصّ البيان: ((... الغرض من معاركنا الحربيّة دحر العدوّ وإخراجه من هذه الأصقاع.... إلّا أنَّ جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء، بل بمنزلة محرّرينَ، لقد خضع مواطنوكم منذ أيام هولاكو الظالمَ للغرباء فتخرّبت قصوركم وتجرّدت حدائقكم وأنّت أشخاصكم وأسلافكم من جور الاسترقاق..... فبناءً عليه إنّني مأمورٌ بدعوتكم بوساطة أشرافكم والمتقدّمين فيكم سِنًا وممثليكم إلى الاشتراك في إدارة مصالحكم الملكيّة[المدنيّة] لمعاضدة ممثّلي بريطانيا السياسيّين المرافقين للجيش؛ كي تنضمّوا مع ذوي قرباكم شمالا وجنوبًا وشرقًا وغربًا في تحقيق أطماحكم القوميّة)).

عُلّق (منشور موند) على جدران أزقّة مدينة كربلاء، وأخذ الناس بقراءته، فانقسم الرأيُ على قسمين: الأوّلُ متفائل بسبب تصديقهم نيّة القوات البريطانيّة من دخول العراق، وهو القضاء على الاستبداد والتسلّط العثماني، بينما أبدى القسمُ الثاني بعدم الارتياح والتشاؤم؛ بسبب مقارنة ما كُتب في هذا المنشور ووعود بريطانيا في بدايات الحرب. أرسل السير (برسي كوكس) الحاكم السياسيّ للحملة البريطانيّة في العراق بعد نشر هذا المنشور في مدينة كربلاء، ضابطا هو الميجر (هلتن يانغ) إلى هذه المدينة بُغية الاطّلاع عليها، ومعرفة المزاج العام للأهالي، فاستقبله أحدُ الوجهاء وهو الشيخ فخري آل كمونة وكان يمثّل نفسه متحدّثًا باسم أهل المدينة، وأنزل ضيفه في بيته في عزلة دون وجود أشخاص من الأهالي، وفي هذا اللقاء تمّ الكشف عن ماهيّة المجتمع الكربلائيّ اجتماعيًا وثقافيًا، وتمّ الاتّفاق على منح عائلة آل كمونة سَدانة العتبات المقدّسة في كربلاء وإدارة المدينة بصورة مؤقّتة، وهذا الأمر لم يمرّ بسهولة، فالعشائر المحيطةً بمدينة كربلاء رفضت تلك الامتيازات، بل هدّدت باحتلال المدينة والسيطرة على عتباتها المقدّسة - ويبدو تحوّل الأمر إلى صراع بين أهل المدينة والعشائر المحيطة- وانتهى الأمر بعقد هدنة بين الطرفين، وتمّ حلّ الأمر بتقسيم ضرائب المدينة على ثلاث: الأوّل لعائلة آل كمونة، والثاني لعشيرة آل عوّاد، والثالث لعشيرة آل عمران.

ثمّ ظهرت مشكلةٌ أخرى وهي رفض أهل المدينة تواجد أفراد العشائر في المدينة، والراجح أنَّ السبب هو انزعاج الأهالي من تواجد أفراد هذه العشائر المسلّحين بشكل غير طبيعيّ، ووصل النفور والتشاحن إلى التهيؤ للقتال بين أهل المدينة بزعامة آل كمونة بين العشائر، بسبب إصرار تلك العشائر والسعي للمشاركة بقوّة في إدارة المدينة، وبخاصّة أنَّ العشائرَ فتحت جبهة على أهل المدينة، بعقد اجتماع في (قصر الدراويش) الذي يقع خارج المدينة في قرية الطف في منطقة الحسينيّة، بحضور عشيرة (بني حسن)، ودعا المجتمعون عشائر الفرات للسيطرة على كربلاء. أخذ البريطانيّون بالتخوّف من حركة العشائر وبخاصّة أنّها تعلم ما لهذه العشائر من دور في معركة الشعيبة، وحصار الكوت، وطرد العثمانيّين عامَ (١٩١٥م) من مدينتي النّجف وكربلاء، وهذا التخوّف أوقعهم في خطأ كلّفهم الكثيرَ فيما بعد، وهو الاعتماد على سكّان المدن بدل العشائر، فقام البريطانيّون بسلسلة من الإجراءات التي منحت السيطرة لعائلة آل كمونة، إذ شكّلوا (الشبانة) التي ساندت هذه العائلة، وفرضت الأمان على الطرق الداخلة والخارجة للمدينة، وفرض الهدوء والسكينة في المدينة، فضلاً عن ذلك قام البريطانيّون بجرد الأملاك الرسميّة (العثمانيّة) والأهليّة أيضاً كنوع من التنظيم والإدارة، وقصمَ البريطانيّون ظهر المدّ العشائريّ في المدينة باعتقال الشيخ رشيد المسرهد، وإبراهيم أبو والدة، وشعلان العيفان من عشيرة الكوام وأرسلوهم إلى الهند - وبهما أخافت العشائر- وتقع مضارب العشيرتين في محيط مدينة كربلاء باتّجاه مناطق الفرات الأوسط، وإرسال الميجر (بولي) كحاكم سياسيٍّ، الذي شكّل فيما

بعد حكومةً مدنيّةً وإدارةً جباية وهيأة انضباط.

ويبدو أنّ موقف العشائر كان مزيّجًا من الدّوافع الوطنيّة والمصالح الآنيّة، فالوطنيّة هي رفض الهيمنة البريطانيّة أمّا الشخصيّة فأنّه يرجع إلى الصراع على سلطة المدينة، إذ يرون بأنّهم القوّة التي طردت العثمانيّين عام (١٩١٥م) ويستحقون سُلطة المدينة كمكافأة لعملهم؛ ولذا فبعد فشلهم اتّجهوا للتعاون مع رجال الدين. قام البريطانيّون بأجراء على صعيد العراق بشكل عامّ، وهو وضع صيغة قانونيّة لربط العراق بالاحتلال المباشر، فبما أنّ القوّات البريطانيّة قادمة بأوامر حكومة الهند –البريطانيّة، فقد أمرت هذه الحكومة في الثلاثين من شهر تشرين الثاني من عام (١٩١٨م) وكيل الحاكم المدني في العراق (أرنولد تالبوت ويلسون) بإجراء استفتاء في شكل الحكومة الجديدة في العراق، وكانت أسئلة هذا الاستفتاء قد نصّت على: ١- هل ترغبون قيام حكومة عربيّة تحت الهيمنة البريطانيّة تمتدّ من حدود ولاية الموصل الشماليّة حتّى الخليج العربيّ. ٢- هل ترغبون بتنصيب رئيس عربيّ على هذه الحكومة. ٣- وإذا كان الأمر كذلك، فمَن هو الذي ترونه مناسبًا لمنصب رئيس عربيّ على هذه الحكومة

. عُقد اجتماع في مبنى سراي الحاكم السياسيّ في السادس عشر من شهر كانون الأوّل عام ١٩١٨ م لأخذ الإجابات، وظهر تردّدٌ بين الأهالي عند توجيه تلك الأسئلة، فطلب الكربلائيّونَ من السلطات مهلة ثلاثة أيّام لكي يتداولوا في الأمر، وهي المدّة التي وافق عليها البريطانيّون، فعقد الكربلائيّون اجتماعًا في دار السيّد محمّد صادق الطباطبائيّ وثمّ في دار الشيخ محمّد تقيّ الشيرازيّ، ووضع جوابٌ واحد لا غيره وهو الطلب بإقامة حكومة عربيّة مُسلمة يرأسها أحد أنجال الشريف الحسين بن علي، ويبدو أنّ هذا الرأي هو من مؤثّرات الإسلاميّين السياسيّين في كربلاء. كان (ويلسون) ينظر إلى مدينة كربلاء نظرة توجّس وحَذر؛ بسبب التخوّف من قيام أهاليها بنشاط يعرقل خطط البريطانيّين في العراق؛ ولذا أصدر أوامره بضرورة استحصال نتائج مُرضيّة لسياسة حكومة الهند – البريطانيّة، والتي التقت مع مصالح قلّة من الكربلائيّين الذين نظّموا مضبطةً تؤيّد وجهة النظر البريطانيّة في الاستفتاء، وأوّل من صدّ هذه الرغبات هم رجال الدين في مدينة كربلاء، إذ أفتوا بأنّ: (كلّ مَن يرغب في حكومة غير مُسلمة من الناس مارقا عن الدين) وبسبب هذه الفتوى أصبح هناك تردّدٌ من المجتمع الكربلائيّ في إعطاء ردٍّ يتجاوب مع الاستفتاء؛ بسبب قيام الأهالي بالتحريض على رفض الاستفتاء، وبسبب موقفهم اعتقل البريطانيّون في ١ تموز (١٩١٩م) ستّة أشخاص بتهمة إثارة النشاط العدائيّ ضدّ الوجود البريطانّي، وهم عمر الحاج علوان، وعبد الكريم العوّاد، وطلفيح الحسّون، ومحمّد علي أبو الحب، والسيّد محمّد مهدي المولويّ، والسيّد محمّد علي الطباطبائيّ لكن ذلك لم يثن الكربلائيين عن مطالبهم الحقّة واستمروا في جهادهم ضدّ الإنكليز حتّى تحقّق لهم مبتغاهم.

عن العتبة العباسية المقدسة - موقع مركز تراث كربلاء - تاريخ كربلاء

من تاريخ الحركة الوطنية
الشرطة وأحداث سجني بغداد والكوت سنة 1935

د. قحطان حميد العنبكي

في أثر استقالة وزارة نور الدين محمود في٢٣ كانون الثاني١٩٥٣،وقبولها في التاسع والعشرين منه،عهد الوصي عبد الإله إلى جميل المدفعي بتأليف الوزارة، والتي شغل فيها حسام الدين جمعة منصب وزير الداخلية.وأعلنت هذه الوزارة في برنامجها أن هدفها في الداخل هو ((المحافظة على الأمن والقضاء على الفساد حتى يستتب الاستقرار وتطمئن النفوس في البلاد)).وأكدت أيضاً((تحكيم القانون وتوطيد أركان العدل في جميع الأمور))، وهذا يفسر لنا الإجراءات التي اتخذتها وزارة الداخلية ووزيرها حسام الدين جمعة الذي شرع في تنظيم المؤسسة الأمنية لوزارته، ولاسيّما وان الأحكام العرفية مازالت قائمةً في البلاد، واتخذت وزارة الداخلية الاستعدادات لإطلاق الحريات ولاسيّما حرية الصحافة،التي تراجعت إلى الوراء في حكومة نور الدين محمود.

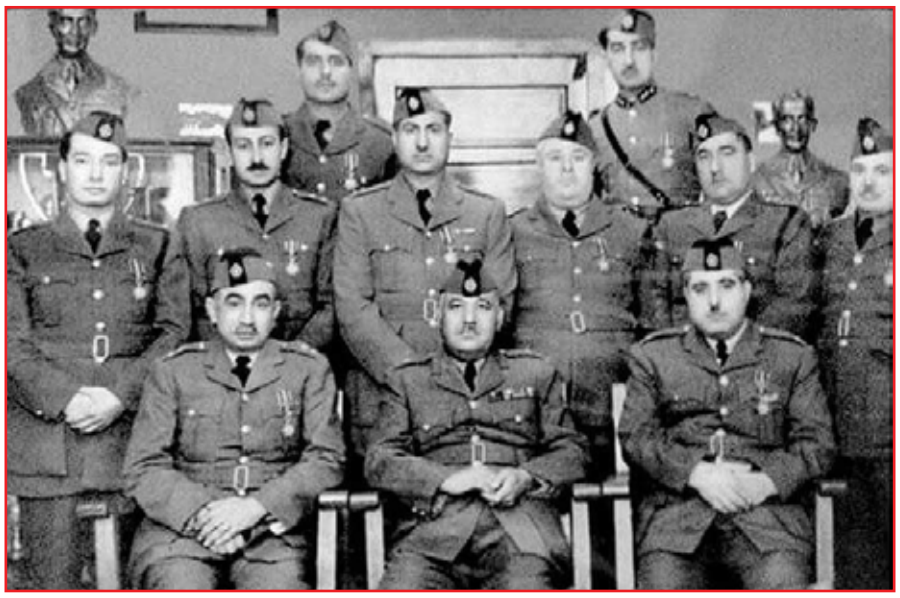

وخلال مدة عمل حسام الدين جمعة على رأس وزارة الداخلية،وقعت حوادث وإضرابات عديدة عمالية وطلابية واسعة،فقد اضرب عمال السكاير في بغداد في ١٦شباط مطالبين بإعادة العمال الذين فصلوا في أحداث انتفاضة تشرين الثاني١٩٥٢.كما اضرب طلاب دار المعلمين الابتدائية في بغداد في ١٢ اذار بعد فصل أحد الطلاب لأسباب انضباطية فاستغل الموضوع لطرح موضوعات سياسية تدعو إلى إلغاء الأحكام العرفية، والمطالبة بتنفيذ الحريات الديمقراطية،وإعادة الطلاب الذين فصلوا في أعقاب انتفاضة تشرين الثاني١٩٥٢،وحدثت إضرابات تضامنية شملت معظم كليات ومعاهد بغداد وكان المتظاهرون يهتفون بسقوط الحكومة((البوليسية الدكتاتورية)) ورفع الأحكام العرفية وتهيئة الخبز والدعوة للسلام.وتصدت الشرطة لتلك الأعمال بالقوة وفرقت المتظاهرين.

كما واجهت وزارة الداخلية انتفاضةً فلاحيةً عارمةً في قرى أربيل في٢٢ نيسان طالب فيها الفلاحون بتوزيع الأراضي عليهم مما جعل الشرطة توقف بعض الفلاحين والمحرضين على الانتفاضة التي استمرت عدة أشهر.

وفي الأول من حزيران أعلم وزير الداخلية رئيس الوزراء بضرورة الإسراع بإنهاء الأحكام العرفية،وأن تسرع المحكمة العسكرية بإنجاز القضايا المهمة التي سبق وان وضعت يدها عليها،لكن حدوث تظاهرات في سجن بغداد بتاريخ١٨ حزيران والاعتداء على رجال الشرطة في السجن قد أزّم الموقف ولاسيّما بعد مقتل شرطي وجرح آخرين، وذلك عندما سعت الحكومة لنقل السجناء من سجن بغداد إلى سجن بعقوبة الذي أعد لهم خصيصاً لكون هؤلاء السجناء السياسيين،من حملة الأفكار الشيوعية، وسبق أن كانوا موقوفين في سجن نقرة السلمان،وقد أمرت الحكومة بنقلهم من سجن بغداد المركزي وذلك لإحداثهم أعمال الشغب والتمرد في داخل السجن((مخالفين نظام السجون بصورة مستمرة))على حد تعبير بيان الحكومة.

وقد بُلغوا بأمر النقل قبل موعده بيوم واحد.وفي يوم ١٨ حزيران تمردوا ضد القائمين بتنفيذ أمر النقل،وقاموا بتظاهرات داخل السجن استعملوا فيها عبارات القذف ضد الحكومة،وإزاء تطور الموقف حضر كل من وكيل متصرف لواء بغداد داود سلمان ومدير السجون العام،وابلغوا المتظاهرين بلزوم الانصياع للأمر،ونصحوهم بتجنب إحداث الشغب،والتوقف عن التمرد،إلا أنهم قابلوا ذلك بالعنف،وقاموا برمي رجال الأمن بالحجارة، والقناني،والقضبان الحديدية...مما أدى إلى جرح(٧٣) شرطياً وسجاناً بضمنهم (١٦) معاوناً ومفوضا.وقابلتهم الشرطة بالمثل لردعهم،فأطلقت عليهم العيارات النارية حدث بسببها إصابات أدت إلى وفاة(٧) من السجناء،وجرح(٢٣)منهم،وقد نقل السجناء الباقون، والبالغ عددهم(١٢٣) سجيناً،إلى سجن بعقوبة.

بعد هذه الحوادث الأليمة،لم يتوان وزير الداخلية من إجراء تحقيق سريع وعادل في ملابساتها،وأمر بتشكيل لجنتين تحقيقيتين، الأولى إدارية برئاسة يوسف ضياء المفتش الإداري بوزارة الداخلية،والثانية قضائية برئاسة حاكم التحقيق نصرة الأورفلي.

وقعت حادثة أخرى مُشابهة لما جرى في سجن بغداد،وتمثلت هذه المرة في سجن الكوت،عندما أضرب السجناء السياسيون عن الطعام وترديدهم شعارات معادية للحكومة، وذلك في الثالث من أيلول ١٩٥٣،عندما عارض السجناء تسفير خمسة عشر سجيناً من اليهود الشيوعيين،ومانعوا في إخراجهم من بينهم،فأعلنوا عصيانهم،وهاجموا قوات الشرطة والسجانين بالحجارة والآلات الجارحة المتوافرة لديهم،واستخدم الشرطة الأسلحة النارية وغيرها مما أوقع العديد من الإصابات بين قتلى وجرحى من السجناء.

ويروي محمد علي الصوري رأياً مناقضاً لادعاءات الحكومة إذ يقول ((قدم السجناء السياسيون في سجن الكوت احتجاجهم. ولقد عملت إدارة السجن على نقل بعض هؤلاء السجناء إلى سجن نقرة السلمان وبدأت تستفز الباقين منهم وتضييق الخناق والحصار عليهم. وبدأ المشرفون على السجن يشدون على السجناء وأشاعوا في مدينة الكوت ان السجناء عصوا سجانيهم وخرجوا على أوامر السجن وأعلنوا العصيان وانهم تمردوا على الحكومة.. كل ذلك لأجل ان يهيئوا أذهان الناس ويعذروهم حين يقومون بهجوم مسلح على السجن.ولكن هذه الحيلة الزائفة كشفتها عوائل المسجونين أنفسهم عندما سمح لبعضهم بزيارة أقاربهم من المسجونين، فأفهموهم الحقيقة..))، وفي ((اليوم الثاني من شهر آب من السنة نفسها.. كسرت شرطة السجن خزان المياه الخارجي. وامتنعت إدارة السجن عن تقديم الطعام المخصص لهم.واستمر الحصار شهرا ويومين عاش السجناء خلاله على تقتير شديد في الطعام الذي وصلهم من ذويهم قبل بدء الحصار. وبعد ستة أيام من الحصار أخذوا يصنعون الخبز من النخالة ودقيق العدس والحمص،ثم من قشور الباقلاء،وكان الماء المخزون قليلاً،على الرغم من الحر الشديد، لهذا قرر السجناء حفر بئر في السجن بالأدوات اليسيرة التي عندهم ولكن الشرطة منعتهم عن ذلك وهددتهم بالقتل إذا قاموا به.. ولم يبالوا بتهديد الشرطة واستمروا على الحفر حتى وصلوا إلى عمق أربعة أمتار حيث بلغوا الماء...، ولاشك بأن هذا كان نصراً رائعاً للسجناء على شرطة السجن وإدارته وجعلهم يقومون بهجوم شامل كاسح..)). ويبدو من ذلك أنّ شرطة السجن وإدارته هي التي استفزت السجناء وضيقت عليهم في المآكل والمشرب باعتبارهم (مجرمين خطرين)وان البادئ هم شرطة السجن وان السجناء لم يقوموا بالإضراب والتهجم على الشرطة والحكومة إلا بعد المعاملة الخشنة القاسية والإهانات المتكررة لهم،فضلاً عن قسوة السجانين وبُعدهم عن التعامل الإنساني والأخلاقي،ولاسيّما محاصرة سجناء عزل ومنع الماء والأكل عنهم،مما يثير الكثير من الاستفهامات حول السجون في العراق وخرقها لأبسط حقوق الإنسان أبان العهد الملكي.

أو يُغمض عينيه عنه.

ويبدو أنّ هذه الحوادث قد زعزعت الثقة بوزارة جميل المدفعي السادسة،مما اضطره إلى تقديم استقالته في ١٧ايلول ١٩٥٣ إلى الملك فيصل الثاني..

نتيجة تزايد السخط الشعبي،أتجه البلاط الملكي إلى ما يبدو إحداث بعض التغيير السياسي في الحكومة لإظهار عهد الملك فيصل الثاني الذي توج في ٢ايار١٩٥٣ بمظهر جديد، فعهد إلى محمد فاضل الجمالي بتأليف وزارة جديدة في١٧ايلول ١٩٥٣ خلفاً لوزارة جميل المدفعي السابعة،وبداية الأمر شغل الجمالي وزارة الداخلية وكالة حتى ١٩ أيلول حيث صدرت الإرادة الملكية بإسناد منصب وزارة الداخلية إلى سعيد قزاز. ويبدو ان تشكيل هذه الوزارة من الشباب والوزراء الجدد تعد مرحلةً جديدةً في تاريخ العراق،فالشباب يتسمون بالحزم،وهم أكثر ميلاً للعمل الجاد واقل فساداً واعمق اهتماماً بالإصلاح.

عن رسالة(وزارة الداخلية ١٩٣٩ ـ ١٩٥٨)

الفنانة هناء مهدي في لقاء صحفي

إعداد: إسلام خزعل فاضل

تأكيد

عاشت الفنانة القديرة صاحبة الصوت العراقي الشجي هناء في بيت فني وعائلة تهوى الفن والموسيقي وفيها امثال ازواج اختيها الفنان الكبير خزعل مهدي والفنان الكبير جميل قشطة، فقد نالت من هؤلاء الرعاية والاهتمام والخبرة في الغناء والموسيقى وكان الفنان خزعل مهدي هو اول من اكتشف هناء ولحن لها وعرفها على الوسط الفني والجمهور العراقي وقد عينت في الاذاعة في قسم الكورال..

انـذاك كانت مقلـة في الظهور مـن على شاشـة التلفاز بسبـب كونهـا ضريـرة.. ولكنهـا كانـت مـن عضوات الكـورال التابـع للاذاعـة التلفزيون وهـي شاهد على اغلـب اغاني المطربـين العراقيين. هـذا لم يمنع محبي صوتها العذب أن ينجذبوا اليها والى صوتها من خلال أغنيـات بقيت خالـدة ليومنا هذا ومنهـا أغنية (صباح الخير. علـى شواطي دجلـة مر يامنيتي وقت الفجر) التـي غنتهـا بعد فـترة فرقة الانشـاد العراقيـة.. كذلك لايفوتنـا أن الفنانة الكبيرة هناء مهدي قد اشتهرت من خـلال أغنيتهـا الرياضية الخالـدة والباقية في ضمير الجميع معتمـدة على صفاء ونقـاوة صوتها وعذوبته وشجنـه فتمكنـت مـن أسـر قلـوب محبـي فنهـا بهذه الاغنيـة الرياضية الشهـيرة بصوتها العراقي الملائكي الساحر الذي دخل تاريخ الغناء العراقي.

اجرت احدى المجلات العراقية لقاءا معها قالت فيه:

كيف كانت البداية.. بدايتك مع فن الغناء؟؟

– في عـام ١٩٦٠ دخلت الاذاعة لأول مرة.. وعملت في فرقة الانشـاد العراقية.. واستمـرت بالعمل مع الفرقة حتى الان.. ولكنني عام ١٩٦٣ قدمت أول اغنية لي بعد ان شعرت بقابليتي علـى الغناء المنفرد.. كانت الاغنية بعنوان (منذورة) وهي من الاغاني الوطنية.. بعد ذلك قدمت عدة اغاني عاطفية لعدة ملحنين من بينهم خزعل مهدي وناظم نعيم وطالب القره غولي..

* ما هو سـر استمرارك مع الفرقة مع انك قد حققت شخصيتك كمطربة؟؟

– اننـي احس من خـلال عملي كمنشدة بـاني مرتبطة دائمـا بعالم الاغنية عبر المشاركة مـع كل الاغاني التي يسجلها المطربون والمطربات من الشباب.. انني اعتبر عملـي في (الكورس) عطـاء فنيـا ايضـا.. اضافة الى انني لا يمكن ان اقدم كل سنة لحنا جديداً..

* هل تشترطين لونا غنائيا معينا في الاغاني التي تقدمينها؟؟

– لا اعـاني اذا قلـت انني استطيع تقـديم كل الالوان الغنائيـة.. الشعبيـة والحديثـة والحزينـة.. وحتـى المقامات..

* وهل غنيت المقامات فعلا؟؟

– نعم وكان ذلك بالاشـتراك مع المطرب (عباس جميل) وانـا اول مطربـة تغني المقـام العراقـي.. وغناء المقام العراقـي بالطبع صعـب ويحتاج الى قـدرة فائقة على الاداء.. الا انني اديته بارتياح وسهولة..

* ولكـن المطربـة مائـدة نزهـت ايضـا غنـت المقام..

– المطربة مائدة نزهت غنت المقام بعدي..

* مـا تقييمك لفرقة (الانشـاد) التي تواصلين العمل معها:

– لقـد بلـغ عدد المنشـدات والمنشدين حـوالي الاربعين بينهـم (ست) منشدات وهـذا العدد غـير كاف وخاصة بالنسبـة للعناصـر النسائية، ويبدو انـه بالرغم من ان الفتـاة قد اقتحمـت كل ميادين العمل الفنـي الا ان فرقة الانشاد ظلت تعاني من قلة الاصوات النسائية!!

* وما تعليلك هذه الظاهرة؟

– لانه لا زال البعض يتخوف من العمل في المجال الفني بحجة التقاليد والعادات!. ولو انني ضد هذه الفكرة.

* حاولنـا معرفـة آراء وتقييمـات هنـاء بالمطربيـن والمطربـات في العـراق فكانت تمانع الا انها قالت:

– يعجبنـي صـوت مائـدة نزهـت وغـادة سـالم.. اما المطربـون فـان اغلبهـم يمتـازون باصـوات جميلـة وطاقات هائلة..

* حسـنا.. ما رأيـك بمحاولات تجديـد الاغاني العراقية القديمة باطار جديد؟؟

– ان ما يسميه البعض تطويرا للاغنية العراقية ليس تطويرا حقيقيا لها.. لانه يتم بتغيير الاغنية والتصرف بها كما يريد الملحن لو يتخيل المؤلف.. ان هذه الالحان كنوز خالدة ويجب الحفـاظ عليها بكل اصالتها وليس التصرف بها حسب (الامزجة).

* ما مشاريعك الفنية الاخيرة؟؟

– لقـد سجلت للتلفزيون اغنيـة دينية عن شهر رمضان واغنيـة اخرى عن العيد.. اما بالنسبة للاذاعة فاضافة الى استمـراري في فرقة الانشاد فانني استعد لتقديم بعض الالحـان الجديدة من بينهـا اغنيـة السيدة (ام كلثوم) التي كانت مفقودة.

مجلة الاذاعة والتلفزيون عام ١٩٧٥

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5674) السنة الحادية والعشرون - الاثنين (20) أيار 2024

www.almadasupplements.com

رئيس التحريـر التنفيذي: علي حسـين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون